



الأسئلة والأجوبة



الموضوع:

العقائد؛ معرفة الإيمان والكفر؛ ما يتعلق بالأديان والمذاهب والفِرَق

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال

الكاتب: صادق

التاريخ: ١٤٤١/٣/١٠

ما رأي السيّد المنصور الهاشمي الخراساني في العرفان؟ هل يعتقد أنّه هو التصوّف نفسه؟ لقد كان في تاريخ الإسلام فقهاء كثير أقبلوا على العرفان وحصلوا على مقامات عالية، حتّى صدرت منهم كرامات مدهشة. ما كان السبب في نجاح هؤلاء العرفاء؟

الجواب

التاريخ: ١٤٤١/٣/٢١

العرفان -فيما يزعمون- هو معرفة الحقّ من طريق «الكشف» و«الشهود» الحاصلين من آداب وأعمال خاصّة يقال لها «سير» و«سلوك»، لا من طريق الاستدلال بالحسّ، وبهذا يفترق عن الفيزياء، ولا من طريق الاستدلال بالعقل، وبهذا يفترق عن الفلسفة، ولا من طريق الاستدلال بظواهر القرآن والسنة، وبهذا يفترق عن الفقه، ويقال أنّ التصوّف أيضًا هو هذا، والعرفان اسمه الجديد، ويقال أنّ بينهما فرقًا؛ لأنّ العرفان علم، والتصوّف عمل، أو أنّ العرفان روح، والتصوّف جسد، والأمر هين؛ لأنّهما مصطلحان يلعب بهما الناس كيف يشاؤون، وليس لهما حقيقة شرعيّة.

ما هو واضح أنّ العرفان، سواء كان نفس التصوّف أو علمه أو روحه، هو طريقة متميّزة من التدين، تولي اهتمامًا أقلّ لظواهر القرآن والسنة ودلائل العقل، وتعتمد غالبًا على تفاسير باطنيّة ومكاشفات شخصيّة، وتكلّم بلسان خاصّ بها، ولذلك ليست ممّا يعترف به الإسلام؛

لأنّ الإسلام مبنيّ على أصالة الظهور، ويخاطب عامّة العقلاء بقوله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾**^١، ويأمر باستخدام العقل بقوله: **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**^٢، ويحذّر من الإعتماد على الظنّ والحرص بقوله: **﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾**^٣، وينهى عن القول بغير استدلال بقوله: **﴿قُلْ هَآئِثُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**^٤. ثمّ إنّ التدين في الإسلام له مفهوم بسيط، وهو العلم والإعتقاد والإلتزام بظواهر القرآن والسنة، وهذا ما لا يختلف شكله، وإنّما يختلف مقداره؛ بمعنى أنّ بعض الناس أكثر علمًا واعتقادًا والتزامًا بظواهر القرآن والسنة من بعض، بغير اختلاف بينهم في طريقة التدين؛ كما كانت طريقة تدين التّبيّ وأهل بيته وأصحابه الصالحين واحدة، وهي التدين العقلاني المعتدل الذي يقال له «العلم والإيمان والعمل الصالح»؛ كما سمّاهم الله تعالى في كتابه: **﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾**^٥، **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**^٦، ولم يكن لتدين بعضهم نهجًا عرفانيًا، ليقال لهم عرفاء، ولم يكن لتدين بعضهم نهجًا فلسفيًا، ليقال لهم فلاسفة، ولم يكن لتدين بعضهم نهجًا فقهيًا، ليقال لهم فقهاء، بل كان لتدينهم نهجًا واحدًا وسطًا، وكان يقال لمن كان منهم أكثر علمًا «عالماً»، ولمن كان منهم أكثر اعتقادًا «مؤمنًا»، ولمن كان منهم أكثر التزامًا «متقيًا» ببساطة كاملة. بناء على هذا، فإنّ كلّ اختلاف في أسلوب التدين أمر مذموم، وكلّ طريقة للتدين اختلفت عن طريقة تدين التّبيّ وأهل بيته وأصحابه الصالحين فهي محدثة، وقد روي: **﴿إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ﴾**^٧. هذا يعني أنّ العرفان، سواء كان نفس التصوّف أو علمه أو روحه، من حيث أنّه تدين يختلف في الشكل والأسلوب والطريقة عن تدين التّبيّ وأهل بيته وأصحابه الصالحين فهو ضلالة، ولذلك وردت في ذمّ أهله أقوال كثيرة عن أهل العلم؛ كما روي أنّ جماعة من الصوفيّة دخلوا على جعفر بن محمّد الصادق (ت ١٤٨هـ)، فناظرهم وردّ عليهم^٨،

١. البقرة / ٢١

٢. البقرة / ٤٤

٣. الأنعام / ١٤٨

٤. البقرة / ١١١

٥. الروم / ٥٦

٦. البقرة / ٨٢

٧. الجامع لمعمر بن راشد، ج ١١، ص ١٥٩؛ الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ١، ص ٣٧٦؛ مسند أحمد، ج ٢٢، ص ٢٣٧؛ مسند الدارمي، ج ١، ص ٢٨٩؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١١؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٧ و ١٨؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٠٠؛ المعرفة والتاريخ للقسوي، ج ٣، ص ٣٨٥؛ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٤٤؛ السنة لابن أبي عاصم، ج ١، ص ١٦؛ السنة للمروزي، ص ٢٧؛ سنن النسائي، ج ٣، ص ١٨٨؛ مسند أبي يعلى، ج ٤، ص ٨٥؛ صحيح ابن خزيمة، ج ٣، ص ١٤٣
٨. انظر: الكافي للكليني، ج ٥، ص ٦٥؛ تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحراني، ص ٣٤٨.

وروي عن علي بن موسى الرضا (ت ٢٠٣هـ) أنه سئل عنهم، فقال: «لَا يَقُولُ بِالتَّصَوُّفِ أَحَدٌ إِلَّا لِحُدُوعَةٍ أَوْ ضَلَالَةٍ أَوْ حِمَاقَةٍ، وَرَبَّمَا اسْتَجْمَعَهَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ»^١، وروي عن عاصم بن سليمان الأحول (ت ١٤٢هـ)، قال: «مَا زِلْنَا نَعْرِفُ الصُّوفِيَّةَ بِالحِمَاقَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَسْتَتِرُونَ بِالحَدِيثِ»^٢، وروي عن عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ)، قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ عَاقِلًا -يَعْنِي الصُّوفِيَّينَ»^٣، وروي عن الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، قال: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا تَصَوَّفَ أَوَّلَ النَّهَارِ لَا يَأْتِي الظُّهْرُ حَتَّى يَصِيرَ أَحْمَقَ»^٤، وروي عن عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ) أنه سئل عنهم، فقال: «لَا تَقْرُبْ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّا قَدْ رَأَيْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمًا، فَبَعْضُهُمْ أَخْرَجَهُمُ الْأَمْرُ إِلَى الْجُنُونِ، وَبَعْضُهُمْ أَخْرَجَهُمْ إِلَى الزُّنْدَقَةِ»^٥، وروي عن أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) أنه سئل عن «الوساوس والخطرات» التي يتكلمون فيها، فقال: «مَا تَكَلَّمَ فِيهَا الصَّحَابَةُ وَلَا التَّابِعُونَ»^٦، وهذا تصديق قولنا أَنَّ هذا الأمر من محدثات الأمور التي لم تكن معروفة عند السلف الصالح، وإن تكلف أهله أن يرجعوه إليهم بوجوه واهية ومغالطات غريبة، ولذلك ذمهم السيّد العلامة المنصور الهاشمي الخراساني حفظه الله تعالى في كتاب «العودة إلى الإسلام»، فقال:

«أكثر المسلمين الصّوفيّين ليس لديهم أساس غير الذوق للعديد من اعتقاداتهم الدّينيّة، ولهذا السّبب بالذات، لا يرون للعقل دورًا كبيرًا في المعرفة... من هنا يمكن القول أنّ أهل التّصوّف المسلمين، إلى جانب أهل الحديث المسلمين، قد لعبوا دورًا بارزًا في نشر النّفور من العقل بين المسلمين؛ مع فارق أنّ أهل الحديث المسلمين كانوا مرّوجين للتدوين الخبري، وأهل التّصوّف المسلمين كانوا مرّوجين للتدوين الشعريّ! في حين أنّ الشعر هو أقلّ اعتبارًا بكثير من الخبر الطّيّ، بل هو في الغالب مجرّد مغالطة ومداعبة بالألفاظ تُسكت العقل بسبب جرّسها دون أن تقنعه؛ إذ من الواضح أنّه ليس كلّ كلام موزون صحيحًا، ولا يمكن معرفة الحقّ بمثل هذه المزخرفات... الحاصل أنّ أكثر الصّوفيّين، خاصّة باستخدام سلاح الشعر،

١ . الإثنا عشرية في الردّ على الصوفية للحزب العاملي، ص ٣١ نقلًا عن كتاب «الردّ على أصحاب الحلاج» للمفيد

٢ . تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص ٣٢٧

٣ . الحثّ على التجارة من «الجامع» للخلال، ص ١٤٤

٤ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، ج ٩، ص ١٤٢؛ تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص ٣٢٧

٥ . الحثّ على التجارة من «الجامع» للخلال، ص ١٤٣؛ تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص ١٩٢

٦ . طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، ج ١، ص ١١٣؛ تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص ١٥٠؛ المقصد الأرشد لابن مفلح، ج ١، ص ٢٥١

جنبًا إلى جنب مع السلفيين، شنوا حربًا ضد العقلانية، ومهدوا الطريق للنزعة الخرافية والتدين الخيالي بين المسلمين، وقدّموا صورة غير واقعية للإسلام هي مضللة للغاية؛ لدرجة أنّ تأثيرهم على العديد من الجماعات الإسلامية ظاهر كجرح على أجسادها، ويمكن تتبع آثار أقدامهم في العديد من مذاهب المسلمين^١.

وقال في بعض دروسه تحت قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»:

«نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْمُتَنَطِّعِينَ، أَصْحَابِ الْأَغْلُوطَاتِ! فَقَدْ كَثُرُوا عَلَيْنَا كَثْرَةَ الدُّبَابِ، وَهُمْ الْمُتَعَمِّقُونَ فِي الْعَقَائِدِ بِالْعُرْفَانِ وَالْفَلَسَفَةِ، وَفِي الْأَحْكَامِ بِالْقِيَاسِ وَالْإِسْتِحْسَانِ، وَفِي الْأَعْمَالِ بِالشَّدِيدِ وَالْإِتِّدَاعِ، وَمِنْ عَلَامَاتِهِمْ كَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَشَهْوَةُ الْجِدَالِ، وَعُقْدَةُ الْمَقَالِ»^٢.

من هنا يعلم أنّه لا ينبغي الإعتناء بالخوارق المنسوبة إليهم؛ لأنّ معظمها لم ترد من وجه معتبر، وكانت بمنزلة الأساطير، ولو كانت صحيحة أيضًا لم تكن في عداد الكرامات؛ لأنّ الخارق إنّما يُعدّ كرامة إذا صدر من أهل الحق، وأمّا إذا صدر ممّن له اعتقاد أو عمل غير حقّ فلا يعدّ كرامة، وإنّما يعدّ سحرًا، أو شعبذة، أو فتنة كفتنة الدجال، أو فعلًا كفعل أهل التقشّف من الهندوس والبوذيين الحاصل من الرياضات الروحية، وهذا أصل مهمّ في معرفة الأدياء؛ كما روي بسند صحيح أنّ رجلاً من غلاة الشيعة حدّث أبا الحسن الرضا عليه السلام عن يونس بن ظبيان، وهو أيضًا من غلاتهم، أنّه قال: «كُنْتُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي وَأَنَا فِي الطَّوَافِ، فَإِذَا نِدَاءٌ مِنْ فَوْقِ رَأْسِي: يَا يُونُسُ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، فَاعْبُدْنِي، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا جَ...»، فغضب أبو الحسن عليه السلام غضبًا لم يملك نفسه، ثمّ قال للرجل: «اخْرُجْ عَنِّي لَعَنَكَ اللَّهُ، وَلَعَنَ مَنْ حَدَّثَكَ، وَلَعَنَ يُونُسَ بْنَ ظَبْيَانَ أَلْفَ لَعْنَةٍ يَتَّبِعُهَا أَلْفُ لَعْنَةٍ، كُلُّ لَعْنَةٍ مِنْهَا تُبْلِغُكَ قَعَرَ جَهَنَّمَ، أَشْهَدُ مَا نَادَاهُ إِلَّا شَيْطَانٌ، أَمَّا إِنَّ يُونُسَ مَعَ أَبِي الْخَطَّابِ^٣ فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ مَقْرُونَانِ، وَأَصْحَابُهُمَا إِلَى ذَلِكَ الشَّيْطَانِ مَعَ فِرْعَوْنَ وَآلِ فِرْعَوْنَ فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ، سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فقام الرجل من عنده، فما بلغ الباب إلّا عشر خطى حتّى صرع مغشيًا عليه،

١ . العودة إلى الإسلام، ص ٨٦-٩٣

٢ . الباب ٢، الدرس ٥٢

٣ . هو أيضًا من غلاة الشيعة.

وقد قاء رجيعة، وحمل ميّتا، فقال أبو الحسن عليه السلام: «أَتَاهُ مَلَكٌ بِيَدِهِ عَمُودٌ، فَضَرَبَ عَلَى هَامَتِهِ ضَرْبَةً قَلَبَ فِيهَا مِثْلَ ثَنَتِهِ، حَتَّى قَاءَ رَجِيْعَهُ، وَعَجَّلَ اللَّهُ بِرُوحِهِ إِلَى الْهَآوِيَةِ، وَالْحَقُّهُ بِصَاحِبِهِ الَّذِي حَدَّثَهُ يَبُونُسُ بْنُ ظُبَيَّانَ، وَرَأَى الشَّيْطَانَ الَّذِي كَانَ يَتَرَأَّى لَهُ»^١ هذا يرجع إلى الأصل الذي بيّناه، وهو أنّ الضالّ إذا ادّعى كرامة، إمّا يكذب وإمّا قد لعب به الشيطان، ولذلك قال السيّد العلامة المنصور الهاشمي الخراساني حفظه الله تعالى في الضالّ الذي يدّعي الإتّصال بالإمام المهديّ عليه السلام «أَنَّ لَهُ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ الْمُتَكَوِّنُ، يَأْتِيهِ وَأَصْحَابُهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ فَيُغْوِيهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ فِي صُورَةِ الْمَهْدِيِّ»^٢، وأخبرنا بعض أصحابه، قال:

«قُلْتُ لِلْمَنْصُورِ: هَلْ تَعْرِفُ فِي هَذَا الزَّمَانِ رَجُلًا أَظْلَمَ وَأَطْعَى مِنْ فُلَانٍ؟ يَعْنِي رَجُلًا مِنْ أَيْمَةِ الضَّلَالِ، فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا يَزَالُ إِنْسَانٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَأَى مِنَ الْأَحْلَامِ وَالْخَوَارِقِ مَا يُصَدِّقُهُ! فَقَالَ: يَا فُلَانُ! إِنَّهُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَفِتْنَتِهِ، إِنَّهُ إِذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ عَبْدٍ رِغًا مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ، أَضْلَهُ مِنْ حَيْثُ يَسْتَهْدِي، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾^٣ فَمَكَتْ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ: يَا فُلَانُ! إِيَّاكَ وَجِدَالَ كُلِّ مَفْتُونٍ، فَإِنَّ كُلَّ مَفْتُونٍ مُلَقِّنٌ حُجَّتَهُ إِلَى انْقِضَاءِ مُدَّتِهِ، فَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّتُهُ خَرَّتْ عَلَيْهِ فِتْنَتُهُ فَأَهْلَكَتْهُ»^٤.

التعليقات الأسئلة والأجوبة الفرعية

التاريخ: ١٤٤٤/٢/١٩

الكاتب: رياض

السؤال الفرعي ١

لديّ سؤالان:

١. ما رأي سماحتكم بخصوص علماء العرفان؟ حيث يذكر بعض العلماء والطلبة أنّ بعض المراجع والعلماء لديهم توفيق في بعض الحالات، لا تتوقّر لدى الشخص العاديّ، ومنها ما يذكر عن السيّد علي القاضي الطباطبائيّ، والسيّد هاشم الحدّاد، وعدد آخر من العلماء.

١. رجال الكشي، ج ٢، ص ٦٥٧

٢. القول ١٩، الفقرة ٧

٣. غافر / ٣٤

٤. القول ٥٧، الفقرة ١٣

٢. من المعلوم أنَّ «بسم الله الرحمن الرحيم» لها طاقة إيمانية وروحانية، ويذكر أنَّ لها أسرارًا ليست بظاهرها. فما هي أسرار البسملة؟ وهل يمكن أن يتعلَّمها الشخص؟

التاريخ: ١٤٤٤/٣/٤

جواب السؤال الفرعي ١

يرجى ملاحظة ما يلي:

١. ليس في الإسلام شيء يقال له العرفان. إنّما فيه العلم والإيمان والعمل الصالح، وكلّ ذلك يُعرف من القرآن والسنة. فلا ينبغي للمسلم الإشتغال بغيرهما تحت العناوين المختلفة التي أحدثها أهل البدعة.

٢. ليس كلّ ما يُذكر عن المنسويين إلى العرفان من المقامات والكرامات صحيحًا، بل أكثره حكايات مكذوبة، والشاهد على ذلك أنّه يذكر عن رجال مختلفين في العقائد؛ كما يذكر عن إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وداود الطائي، وبشر الحافي، وأبي بكر الشبلي، وذي النون المصري، ومعروف الكرخي، وجنيد البغدادي، وشمس التبريزي، وسهل التستري، وعبد الله الأنصاري، وابن عربي الحاتمي، وأمثالهم، كما يذكر عن السيّد عليّ القاضي، والسيّد هاشم الحدّاد، وأمثالهما، وهم كانوا أهل مذاهب مختلفة يضلّل بعضها بعضًا! وقد يذكر عن الحلاج من المقامات والكرامات ما يحير العقول، وهو الذي كان يمجّد إبليس، ويقول بقول فرعون! فيجب على المسلم أن لا يغترّ بأمثال هذه الحكايات المتناقضة التي حكاها أهل كلّ مذهب لعرفائه.

٣. «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من القرآن، ولم ينزل الله في القرآن آية فيها ما لا يفهمه الناس؛ كما قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾^١، وقال: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾^٢، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^٣، ومن اللغو أن يخاطب الله الناس بما لا يفهمون؛ كما جاء عن أهل البيت أنّهم قالوا: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُخَاطَبَ خَلْقَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ»^٤، ومعنى «بسم الله الرحمن الرحيم» أنّ ما أقوله أو أفعله هو بالله ولله وإلى الله الذي وسعت رحمته كلّ شيء، وقد يختصّ برحمته من يشاء.

١. آل عمران / ١٣٨

٢. إبراهيم / ٥٢

٣. القمر / ١٧

٤. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٤١؛ رجال الكشي، ج ٢، ص ٥٧٨



هذا معناها الذي يفهمه الناس إذا تدبروها، وأمّا غير ذلك من التأويلات الباطنيّة التي يقال لها أسرار فهي ما نهى الله ورسوله عنه من القول بغير علم والتفسير بالرأي؛ كما قال تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^١، وروي عن رسوله أنّه قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^٢.



الموقع الإلكتروني لمكتب المصطفى الهاشمي الخراساني
فيما يخصّ الصلاة على الأئمة

١ . الأعراف / ٢٨

٢ . تفسير عبد الرزاق، ج ١، ص ٢٥٣؛ مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦، ص ١٣٦؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٩٦؛ سنن الترمذي، ج ٥، ص ١٩٩؛ مسند البزار، ج ١١، ص ٦١؛ فضائل القرآن للنسائي، ص ١٣٤ و ١٣٥؛ تفسير الطبري، ج ١، ص ٧٨؛ شرح مشكل الآثار للطحاوي، ج ١، ص ٣٥٨؛ المعجم الكبير للطبراني، ج ١٢، ص ٣٥